



تأملات في سورة الانفطار

19 فيه ذكركم

تدبر القرآن الكريم

2025-06-16

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين.
اللهم علّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علّمنا وزدنا علماً وعملاً مُتَقَبَّلاً يا رب العالمين.
اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنّات القربات.

ما هي براءة الاستهلال:

الناس جميعاً يعلمون القوانين كلّ في موقعه، الطبيب يعلم قوانين الجسم فيعالج بناءً على ذلك، العرب كانوا إذا أرادوا أن يبدؤوا بقصيدة فيها غزل أو فيها هجاء، أو فيها ذم أو مدح، يبدؤوا بالوقوف على الأطلال، هذه يُسمونها براءة الاستهلال، أنه يترع في بداية تليق نظر الناس، فالיום الخطيب الناجح أو الداعية، من براءة الاستهلال يبدأ بضرب مثّل، بسؤال، والنبي صلى الله عليه وسلم سيد البلغاء، كان عنده براءة الاستهلال شيء عظيم، يجلس بين أصحابه يقول:

{ أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَتَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخَطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَاتِّبَاطُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، قَدْ لَكُمْ الرَّبَاطُ. وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ شُعْبَةَ ذِكْرُ الرَّبَاطِ. وَفِي حَدِيثِ مَالِكٍ يُشِيرُ قَدْ لَكُمْ الرَّبَاطُ، قَدْ لَكُمْ الرَّبَاطُ. }

(صحيح مسلم)

براعة استهلال.

{ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرِيهِ؟ قَالُوا: لَا يُبْقِي مِنْ دَرِيهِ شَيْئًا، قَالَ: فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَاةِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا { (صحيح البخاري)

براعة استهلال.

{ أَلَا أُتْبِئُكُمْ يَخْتِيرُ أَعْمَالَكُمْ، وَأَرْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعُهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِتْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَذُوكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟!، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: ذِكْرُ اللَّهِ { (أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد)

الاستهلال في القرآن الكريم:

فقضية براءة الاستهلال من قواعد أو بديهيات العرب، فالله تعالى في قرآنه الكريم كثيراً ما يستخدم هذا الأسلوب، ولاسيما في السور المكيّة، أحياناً بالقسم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْعَصْرِ (1)

(سورة العصر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (1)

(سورة العاديات)

أحياناً بالمظاهر الكونية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (1) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ (2) وَإِذَا الْأَنْجَارُ فَجَّرَتْ (3) وَإِذَا الْغُيُورُ بُعْثِرَتْ (4)

(سورة الانفطار)

مظاهر الكون كله يختل، يتحرك حركة، حركة، النتيجة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
عَلِمْتُ نَفْسِي مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ (5)

(سورة الانفطار)

عندما يحصل ذلك.
السماء بناءً، وبناءً مُحْكَم، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا (27)

(سورة النازعات)

وقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالسَّمَاءُ بَنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (47)

(سورة الذاريات)

فالسما ليس فراغاً، السماء بناءً مُحْكَم، والسما جعلها الله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (32)

(سورة الأنبياء)

والسما ليس فراغاً، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (14)

(سورة الحجرات)

وكأنَّ لها باباً، فالسما بناءً، عندما تنفطر بمعنى تنشق، طبعاً هناك:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (1)

(سورة الانشقاق)

الانفطار اهتزاز من الداخل وهو أشد من الانشقاق:

وهنا (إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ) الانفطار هو الانشقاق، لكن الانفطار غالباً يُعبر به عن تهديم الأجزاء الداخلية، يقول شققت الصحيفة يعني شق فقط، أمّا الانفطار فيه اهتزاز من الداخل، شدة أشد من الانشقاق، أي وكأن شيئاً ينفطر، يقول انفطر قلبي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا (18)

(سورة المزمل)

والعباد بالله، يعني دلالة على القوة والنبذة، فقال: (إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (1) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ اسْتَنَّتْ) تفرقت أجزاءها، رُشاً جلّ جلاله جعل توازناً في الكون، هذا التوازن بحيث كل كوكب يدور ويرجع إلى مكان انطلاقه النسبي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (11)

(سورة الطارق)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (40)

(سورة يس)

السبب هو الحركة، لأنه كما تعلمون الجاذبية تخضع للكتلة والمسافة، فالمسافات بقدر، والكتل بقدر.

أنا اليوم فرضاً وقد سمعت هذا من بعض العلماء في المجال، لو قلت لشخص سأعطيك مغناطيسين، ضعهما على الطاولة هنا وباعد بينهما بحيث لا يجذب أحدهما إلى الآخر، وهذا أمر سهل أن تباعد بينهما بُعد مُعَيَّن لا يجذبوا، إذا اقتربوا أكثر يجذبوا، إذا قلت له ضع ثالثاً بينهما تتعقد المهمة قليلاً لكن ممكنة، إذا جعلتهم خمسة أصعب، وإذا جعلتهم عشرة أصعب، إذا مئة وكل واحد منهم له كتلة، صغير وكبير، أصبحت المهمة أصعب، بأي لحظة يجذبوا إلى بعضهم ويصبحوا شيئاً واحداً، إذا قلت له ارفعهم في الفراغ، يقول لي: مستحيل إن أضعهم في الفراغ! إذا قلت له ارفعهم في الفراغ وهم يتحركون، سيقول لي: هذا مستحيل!

هذا هو ما يجري في الكون، الذي يجري في الكون أنّ كل الكواكب تتحرك ولا تجذب لبعضها ولا تصيح كتلة واحدة (وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ).

فيوم القيامة رُشاً عرّ وجل هذا القانون يُسحب، والأمر بيده جلّ جلاله، فتنتشر الكواكب وتنفق أجزاءها انتهت، هي وجدت للدلالة على عظمتها، وجدت لتدلّك على الله، وجدت لنقول لك إن الله موجودٌ وواحدٌ وكامل، والآن انتهى وقت الاختبار، والوسائل التعليمية لم يعد لها دور، كان عندك وسائل تعليمية كثيرة والآن انتهى.

كيف تُفجّر البحار يوم القيامة؟

(وَإِذَا الْكَوَاكِبُ اسْتَنَّتْ (2) وَإِذَا الْبُحَارُ فَجَّرَتْ) التفجير مصطلح حديث، وعلى الفيسبوك يحذفوه إذا سمعوا به يعتقدوا أنه تفجيرٌ حقيقي، فهو مصطلحٌ حديث عن الانفجار، تفرّق الأجزاء من الداخل، حصل انفجار، بوقت نزول القرآن فهم الانفجار على أنه هو الطوفان، تقريباً سبعون بالمئة من الكرة الأرضية محيطات وبحار، فتطوف الدنيا كلها، تنفجر وتطوف الدنيا، أو فهم على أنّ انفجارها بمعنى سيحائها في داخل الأرض انتهى.

في الحديث عن هذا قالوا: لماذا لا نفهم على الانفجار الحقيقي؟ فقال بعض العلماء من باب الإشارة، أنَّ الماء هو H2O أي أنه غاز مُشتعل وغاز يساعد على الاشتعال، فرينا يفكُّ العلاقة بينهما، هُم بهذه العلاقة أصبحوا يُطفئوا النار، وإذا فُكَّت العلاقة يشتعلوا ممكن، والنبي صلى الله عليه وسلم قال:

{ لَا يَزْكِبُ الْبَحْرُ إِلَّا حَاجٌّ، أَوْ مُعْتَمِرٌ، أَوْ غَازٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّ تَحْتَ الْبَحْرِ نَارًا وَتَحْتَ النَّارِ بَحْرًا }

(أخرجه أبو داود والطبراني والبيهقي)

(وَإِذَا الْبَحَارُ فَجَّرَتْ) المهم أنه اختلَّ النظام، ربنا الآن بُنِّت، نحن رأينا في إعصار تسونامي هذه البحار فُجِّرَتْ، خرج الماء وأخذ مساحات شاسعة جداً لا يُبقى ولا يدّر، هذا شيءٌ بسيط، أمّا يوم القيامة **(وَإِذَا الْبَحَارُ فَجَّرَتْ)**.

على الإنسان أن يُسارع في أعمال الخير ولا يُسوِّف:

(وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ) أي خرج باطنها إلى طاهرها، ماذا في داخلها؟ الأموات الناس الذين دُفِنوا فيها، فخرج الناس للحساب، ناسب أن يكون آخر مطهر هو تبعثُّ القبور، ليكون جواب الشرط، إذا، إذا، إذا، قال: **(عَلِمْتُ نَفْسِي)** أي عند ذلك، **(مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ)** البعض قالوا: ما قَدَّمْتُ من الطاعات في حياتها وما أَخَّرْتُ من أشياءٍ عُمل بها بعد وفاته، الإنسان عنده طاعة يعملها في حياته، وعنده ولدٌ يتركه بعد وفاته، هذا أَخَّرَه لكن يبقى له، عنده كتاب طَبَعُهُ فُقِرَ بعد وفاته فانشفع به، هذا أَخَّرَه، والذي قَدَّمَه هو الذي عمله في حياته هذا معنى.

والمعنى الثاني: علمت نفسي ما قَدَّمْتُ من الطاعات وما أَخَّرْتُ فلم تفعله، فهذا يندم عليه الإنسان، بمعنى هو صَلَّى وصام ولكن قال لك: أنا إن شاء الله في المستقبل سأُفِق من مالي، الآن الوضع صعب، فتوفي قبل أن يُفِق، هذا أَخَّرَه فيقول: ليتني لم أُؤَخِّرَه، ليتني فعلته فوراً **(عَلِمْتُ نَفْسِي مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ)**.

فالإنسان يُسارع إلى أن يُقَدِّم، ما دام التَّقَسُّ موجود والقلب ينبض فلنُكَيِّر من الأعمال الصالحة، لأنَّه يوم القيامة سيُصبح عنده ندم على ما أَخَّرَه، كان بإمكانه أن يفعله لكن قال سوف، فاطرح عن سوف فإنها من عمل إبليس، هَلْكَ المُسوِّفون، **(عَلِمْتُ نَفْسِي مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ)** هذا المقطع الأول.

وصف الإنسان في القرآن قبل الإيمان:

ثم يتوجه المولى جلَّ جلاله للإنسان، بعد هذا الموقف المَهيب الذي سيحصل، يوجِّه له الخطاب:

يَسْمُ اللَّهَ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ
يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَزَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6)

(سورة الانفطار)

والله تعالى إذا ذكر الإنسان في القرآن، فهو الإنسان قبل أن يؤمن، على حالته الطبيعية، إذا آمن يُصبح مؤمناً، وإذا كفر يُصبح كافراً والعباد بالله، لذلك كثيراً ما يكون وصف الإنسان في القرآن وصفاً سلبياً:

يَسْمُ اللَّهَ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ
كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ (6)

(سورة العلق)

يَسْمُ اللَّهَ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ
إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2)

(سورة العصر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19)

(سورة المعارج)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرَبَكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ (37)

(سورة الأنبياء)

كثيراً ما يكون وصف الإنسان في القرآن وصفاً سلبياً، لأنَّ هذا قبل الإيمان، يعني على أصل الخلقة التي فيها مواطن ضعف، فلمَّا يؤمن ويتصل بالله عزَّ وجلَّ ينجو من هذه المواطن:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20)

(سورة المعارج)

يفقد صبره ويفقد رشده.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21)

(سورة المعارج)

لا يريد أن يُفقد، يريد أن يأخذ كل الخير له.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22)

(سورة المعارج)

الإيمان هو الذي يُهذِّب الإنسان فكونوا ربانيين:

عندما يتصل بالله ينجو من هذه الصفات الخلقية التي في أصل خلقه، فالإيمان هو الذي يُهذِّب الإنسان، لذلك:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَا كَانَ لِيَتَّسِرَ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّايُنَّ يَمَّا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ
الْكِتَابَ وَيَمَّا كُنْتُمْ تُدْرُسُونَ(79)

(سورة آل عمران)

وليس كونوا إنسانيين، لأنَّ مصطلح الإنسانية يُطلق اليوم على أساس أنه نحن نُسبب إلى الإنسان، والإنسان مُكْرَم عند الله، لا مانع، لكن المؤمن ربّاني، ينتقل من مرحلة الإنسانية التي رأينا آثارها، يعني الكل يقول نحن إنسانيون ونرى الإنسان ماذا يفعل بأخيه الإنسان، إذا صحَّ أنه أخوه، وإذا اعتبره أخوه، إذا اعتبره أنه من شعب الله المختار، فهذا لا يعتبره أحاً له! هذا لا يستحق الحياة أصلاً فانظر إلى الإنسانية!! لا تُنكر وجود فطرة أحياناً في الداخل، لكن الأصل أن يكون الإنسان ربّانياً منسوباً إلى ربّه لا إلى أصل خلقته.

(يا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَزَّكَ) الغرور في الأصل أن تتوهم شيئاً على خلاف ما هو عليه، يعني إذا إنسان مرّ في الطريق فوجد عليه جميلةً جداً، ومغلّفة بغلافٍ راقٍ وعليها وردة حمراء، يتبادر إلى ذهنه فوراً أنَّ بداخلها شيئاً ثميناً، اغترّ بها فحملها وأخفاها حتى لا يراه أحد، ثم دخل إلى غرفةٍ وفتحها فوجد فيها قمامة لها رائحة كريهة، هذا ماذا حصل معه؟ اغترّ، لأنه توهم شيئاً بخلاف ما هو عليه.

كيف يغترّ الإنسان برّبّه؟

(يا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَزَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) كيف يغترّ الإنسان برّبّه؟ بطنُّ أنه لن يُحاسبه، غرور، يقول لك: لا تُدقق ربنا لن يوقفنا ولن يُحاسِبنا، هل سيحاسبنا لأجل نظره أو من أجل مالي قليل؟! يغترّ، فرتباً يُعانيه يقول له: **(ما عَزَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ)**، البعض يفهم أنّ **(بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ)** قالوا: لقّنه الإجابة، أي أعطاه الإجابة بالسؤال، يعني حتى يُجيّبه يقول: غرّني كرمك يا ربّ، هذه ربما تستقيم مع بعض الناس، لكن عند المؤمن؟!

أنت في حياتك الطبيعية إذا كان أحدهم كريماً معنا كثيراً هل نقابله بالإساءة؟! لا، فلا يصحّ أن يكون الجواب كرمك يا ربّ، على العكس هذا توبيخ أكثر، فالآية فيها معنى التوبيخ، يعني رغم كرمه معك، رغم كل ما أعطاك، كيف تغترّ به فتعصيه؟! فهي ليست تلقين للإجابة فيما أحسب، البعض القليل من باب الإشارة واللفظ قالوا: لقّنه الإجابة.

مثلاً سيدنا ابن عمر لقّا قرأ: **(يا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَزَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ)** قال: غرّه جهله، الجهل الذي غرّه، ما عنده علم لا يعرف عظمة ربنا عزّ وجلّ، جهل، وقرأ غيرهم **(يا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَزَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ)** فقال: غرّه حلمك يا ربّ، ربنا لا يُعاجل بالعقوبة يُمهّل، فاغترّ، وقرأ بعضهم **(يا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَزَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ)** فقال: ستورك المُرخاة علينا، سنّبر ربنا، فالستر يغترّ أحياناً.

(يا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَزَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) يتفاجأ الإنسان إذا اغترّ، ربنا عفوٌ لكن:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنِّي لَعَفَاؤٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى(82)

(سورة طه)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ كَيْفَ يُعَافِي إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ
الرَّحِيمُ(53) وَأَيُّبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ(54)

(سورة الزمر)

فعندما يرجع الإنسان إلى ربّه، ويُصلح ما بينه وبين ربّه، عندئذٍ يقول ربنا غفورٌ رحيم، طبعاً غفورٌ رحيم جلّ جلاله، ويتجاوز ويعفو أكثر مما يُحاسب، لكن عندما يجلس ويقعد عن العمل ويقول ربنا كريم، هذا اغترّ، كيف اغترّ؟ مثلاً: طالبٌ في صفٍّ وأبوه الأستاذ في هذا الصف، فقال لك: أبي مستحيل أن يُرسّني فلم يدرس، أبي لطيف وبحيني جداً، وفي البيت يضفني ويُقبّلني فلم يدرس، وجاء إلى الامتحان وقال: لو أني كتبت أي شيء فأبي سيُنَجّني ولكن أبوه رسّبه، فقال لأبوه: لقد رسّبتني! فقال له أبوه: طبعاً لأنه ليس من العدل أن أنجّحك.

فعندما يرجع الإنسان إلى ربّه، ويُصلح ما بينه وبين ربّه، عندئذٍ يقول ربنا غفورٌ رحيم، طبعاً غفورٌ رحيم جلّ جلاله، ويتجاوز ويعفو أكثر مما يُحاسب، لكن عندما يجلس ويقعد عن العمل ويقول ربنا كريم، هذا اغترّ، كيف اغترّ؟ مثلاً: طالبٌ في صفٍّ وأبوه الأستاذ في هذا الصف، فقال لك: أبي مستحيل أن يُرسّني فلم يدرس، أبي لطيف وبحيني جداً، وفي البيت يضفني ويُقبّلني فلم يدرس، وجاء إلى الامتحان وقال: لو أني كتبت أي شيء فأبي سيُنَجّني ولكن أبوه رسّبه، فقال لأبوه: لقد رسّبتني! فقال له أبوه: طبعاً لأنه ليس من العدل أن أنجّحك.

الله تعالى خلق الإنسان من عدم ثم سوّاه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَزَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7)

(سورة الانقطار)

خَلَقَكَ أَنْشَأَكَ مِنَ الْعَدَمِ، التَّسْوِيَةَ بَعْدَ الْخَلْقِ، مَثَلًا أَنْتَ تَرِيدُ أَنْ تُنْشِئَ كِرَاجَ لِسَيَّارَتِكَ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تَأْخُذَ أَيَّ أبعادٍ، جُنْتُ بِالرَّجُلِ الْبِئْسَ وَقَلْتَ لَهُ: أُرِيدُ أَنْ تَبْنِيَ لِي كِرَاجًا لِلْسَيَّارَةِ، فَأَقَامَ جِدَارًا بِجِدَارٍ، وَجُنْتُ لَتَدْخُلَ بِسَيَّارَتِكَ فَتَفَاجَأَتْ أَنَّ سَيَّارَتَكَ دَفْعُ رِبَاعِي عَالِيَةٍ، وَسَقَفَ الْكِرَاجَ مُنْخَفِضَ لَا يُمْكِنُ دُخُولُ السَّيَّارَةِ، لَا يَوْجِدُ تَسْوِيَةَ، أَيْضًا دَخَلْتَ فَوَجَدْتَهَا ضَيِّقَةً، فَأَغْلَقْتَ الْمَرَايَا وَدَخَلْتَ لَكِنَ الْأَبْوَابَ لَا يُمْكِنُ أَنْ تُفْتَحَ، لَا مَجَالَ لِلنُّزُولِ مِنَ السَّيَّارَةِ.

فِي مَنَاطِقِ الْمُهَاجِرِينَ عِنْدَنَا بِالشَّامِ بِالْجَادَاتِ، أَنَا كُنْتُ أُسْكِنُ فِي الْجَادَةِ الرَّابِعَةِ، أَصْعَبُ شَيْءٍ هُنَاكَ هُوَ زَكْنُ السَّيَّارَةِ، الْعُقْدَةُ لِمَنْطِقَةِ الْمُهَاجِرِينَ أَنْ تَجِدَ مَكَانًا تَرْكُنُ بِهِ سَيَّارَتَكَ، الْمَكَانَ جَمِيلَ لَكِنْ يُتْرَكُ السَّكْنُ فِيهِ لِعَدَمِ وَجُودِ مَكَانٍ لِلْأَصْطِفَافِ، فَكُنْتُ أَحْيَانًا أَصِلُ إِلَى الْبَيْتِ فِي السَّاعَةِ الْحَادِيَةِ عَشَرَ أَوْ الثَّانِيَةِ عَشَرَ لَيْلًا، هَذَا فِي عَامِ 2010، مُسْتَحِيلٌ أَنْ تَجِدَ مَكَانًا لِرَكْنِ السَّيَّارَةِ، وَأُظِلُّ أَبْحَثُ عَنْ مَكَانٍ حَوْلِي نِصْفَ سَاعَةٍ، فَبِئْسَ أَحَدِي الْمَرَّاتِ وَجَدْتُ مَكَانَ ضَيِّقًا جَدًّا، عَمَلْتُ تَقْرِيْبًا حَوْلِي عَشْرِينَ مَحَاوِلَةً حَتَّى اسْتَطَعْتُ أَنْ أَرْكُنَ السَّيَّارَةَ فِي هَذَا الْمَكَانِ الضَّيِّقِ، وَبَعْدَ أَنْ رَكْنْتُهَا كَأَنِّي مَلَكَتُ الدُّنْيَا، أَخَذْتُ تَقْسًا طَوِيلًا وَحَاوَلْتُ أَنْ أَفْتَحَ الْبَابَ لِأَنْزِلَ، فَضَرَبَ الْبَابَ بِالسَّيَّارَةِ الَّتِي بِجَانِبِي، فَقَلْتُ أَخْرُجْ مِنَ الْبَابِ الثَّانِي، فَخَفِزْتُ إِلَى الْبَابِ الثَّانِي فَلَمْ أَسْتَطِعْ فَتَحَهُ، فَعَدْتُ بِالسَّيَّارَةِ وَأَخْرَجْتُهَا، وَرَكْنْتُهَا فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ وَمَشَيْتُ.

فَالْتَسْوِيَةُ هِيَ أَنْ يَأْتِيَ الْخَلْقُ مَنَاسِبَ لِمَتَطَلِبَاتِ الْحَيَاةِ، فَرُبَّمَا جَلَّ جَلَالُهُ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ثُمَّ سَوَّاهُ، مَثَلًا لَمْ يَجْعَلْ لَهُ فِي الشَّعْرِ أَعْصَابَ حَسٍّ، وَإِلَّا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَقْصُ شَعْرَهُ إِلَّا بِعَمَلِيَّةٍ جِرَاحِيَّةٍ، وَلَا بِالْأَطَافِرِ، جَعَلَ خَلَايَاهُ كُلُّهَا تَتَبَدَّلُ كُلَّ خَمْسِينَ سَنَوَاتٍ، أَطْوَلُ عُمُرِ خَلِيَّةٍ خَمْسَ سَنَوَاتٍ، إِلَّا الْقَلْبَ لِأَنَّهُ مَرْكَزُ الْمَشَاعِرِ وَالْأَفْعَالِ لِأَنَّهُ مَرْكَزُ الْمَعْلُومَاتِ، هَذِهِ تَسْوِيَةُ، هَذِهِ تَسْوِيَةُ، التَّسْوِيَةُ غَيْرُ الْخَلْقِ، التَّسْوِيَةُ شَيْءٌ مَنَاسِبٌ، الْخَلْقُ كَانَ مُمْكِنًا أَنْ يَجْعَلَ لَهُ عَيْنًا وَاحِدَةً، لَكِنْ لَا يُدْرِكُ الْبُعْدَ الثَّلَاثَ لِلْأَشْيَاءِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ تَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (8)

(سورة البلد)

(خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ) بِأَنْ تُنْشِئَ وَاحِدَةً يَسْمَعُ لَكِنْ بِالْأُذُنَيْنِ يَعْلَمُ مَصْدَرَ الصَّوْتِ بِمِثَالٍ أَوْ بِسَارًا (خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ) بِعَنِي التَّسْوِيَةَ فَسَوَّى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (2)

(سورة الأعلى)

جَعَلَ الْخَلْقَ مُنَاسِبًا مَعَ مُتَطَلِبَاتِ الْحَيَاةِ، الْبَذْرَةُ الْجَذْرُ يَتَجَهَّ إِلَى الْأَسْفَلِ وَالسَّاقُ إِلَى الْأَعْلَى (خَلَقَ فَسَوَّى).

اللَّهُ تَعَالَى رَكَّبَ الْإِنْسَانَ بِالْصُّورَةِ الْأَكْمَلِ:

(الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ) عَدَلَكَ مِنَ الْإِعْتِدَالِ وَهُوَ التَّوَسُّطُ، قَامَةً لِلْإِنْسَانِ يَمْشِي عَلَى قَدَمَيْنِ مُعْتَدِلٍ، بَاقِيَ الْمَخْلُوقَاتِ تَمْشِي عَلَى أَرْبَعَةٍ، أَصْلُ بِنَاءِ الْحَضَارَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَجُودُ الْيَدَيْنِ الَّتِي لَا تَمْشِي عَلَيْهِمْ بَلْ تَعْمَلُ بِهِمْ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ (8)

(سورة الانقطار)

انْظُرْ إِلَى صُورِ الْكَائِنَاتِ، رُبَّمَا كَانَتْ عِنْدَهُ كُلُّ الْأَنْفُسِ، هُنَاكَ نَفْسٌ أَصْبَحَتْ كَلْبًا - أَجْلَكُمُ اللَّهُ - وَخَنَزِيرًا، وَقَرَدًا، رَكَّبَكَ فِي الصُّورَةِ الْأَكْمَلِ وَهِيَ صُورَةُ الْإِنْسَانِ (فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ) هَذَا الْمَقْطَعُ الثَّانِي.

مشكلة الإنسان أنه لا يؤمن إيمان حقيقي بيوم الدين:

المقطع الثالث هو لبّ السورة، أو القصد من السورة في النزول المكّي، في الآيات المكّية القصد دائماً من السورة هو الوصول إلى يوم الدين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ (8) كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ (9)

(سورة الانقطار)

(كَلَّا) أداة زجر وردع تليق الانتباه، (بَلْ) حرف إضراب، (تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ).

(بَلْ) حرف إضراب ينفي ما قبله ويثبت ما بعده، إذا كان مذيع يقرأ بشراً إخبارية، أحياناً يقول مثلاً: "وتكون درجات الحرارة مرتفعة"، عندما يجد نفسه أخطأ فيقول: أو منخفضة، يجب أن يقول بل منخفضة، لأنّ بل إضراب، يعني ليس سبب الاعتراض بحلم الله هو السبب الرئيسي (بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ)، المشكلة أنه لا يوجد إيمان باليوم الآخر، مشكلتك أنّها الإنسان، أنه ليس عندك إيمان حقيقي بيوم الدين وبيوم القيامة.

الدين هو الرجوع، دانت له الجزيرة العربية، أي خضعت له، رجعت له في أمرها، فالرجوع إلى الله، فلما كذّب بأنّ مرجعه إلى الله، كذّب بالمنهج الذي هو دين الله تعالى.

الله عزّ وجل سحّر الملائكة الكرام ليسجلوا أعمالك:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ (9) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10)

(سورة الانقطار)

يعني الملائكة الذين يسجلون الأعمال، الحافظ الذي يحفظ أعمالنا، والله تعالى حفيظٌ جلّ جلاله، (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ) جاء بالمؤكّد الأول: (إِنَّ) والمؤكّد الثاني: لام المُرحّلة، والثالث: (عَلَيْكُمْ) قال: (عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كِرَامًا كَاتِبِينَ (11)

(سورة الانقطار)

الملائكة كرام عند الله جلّ جلاله، ويكتبون، والكتابة تتناسب مع طبيعة الإنسان الذي يميل إلى تثبيت الأمور:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِذُنُوبِكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَكُتِبُوا وَلِكُتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتْلِ الرَّبُّهُ وَلَا يَحْسَبَنَّ مِنْهُ سَبِيحًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيحًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُحْمَلَ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلْيُكْتَبْ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّاهِدَاتِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشَّاهِدَاتُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَلُوا أَنْ تَكُتُبَ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَفْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُوتَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۖ وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا بُضَاءَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءًا غَلِيمًا (282)

(سورة البقرة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا يَجْهَالِيهِ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ (54)

(سورة الأنعام)

رَبُّنَا ليس بحاجة أن يكتب على نفسه، لكن كلمة كتابة تتماشى مع طبيعة الإنسان، يعني هو لا يرتاح حتى يكتب له، يقول لك: أخي اكْتُبْ لي إيصالاً حتى أرتاح.

الإنسان ينضبط بالمنهج عندما يشعر بالمراقبة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كِرَامًا كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (12)

(سورة الانقطار)

الإنسان متي ينضبط بالمنهج؟ عندما يشعر بالمراقبة، لا ينضبط إلا إذا شعر بالمراقبة، لماذا نقف جميعنا على إشارة المرور؟ انترك البُعد المُتعلّق بالقيم، قد تجد من الناس من عنده بُعد قيمي، أن هذا الالتزام هو لسلامتي، لكن بالعموم الشباب متى يقفون على الإشارة؟ عندما يكون هناك كاميرا أو شرطي، المراقبة هي التي تجعل الناس يلتزموا، حتى في الغرب يقول لك: ما شاء الله ملتزمون، لأنه يوجد رقابة عالية، من أمن العقوبة أساء الأدب، قوة القانون جعلته ينضبط، ستقول لي أنها أصبحت ثقافة مجتمع، ممكن، الإنسان يعتاد فتصبح ثقافة عنده، أنه لا يلقي الأوساخ من النافذة وكذا، لكن من البداية ليس هناك شعوب مميزة عن شعوب، بمعنى أنه ليس ربنا عز وجل خلقهم منضبطين بالنظام، ولكن عندهم يوجد قانون وهنا لا يوجد قانون فقط، يعني القانون عندهم ضعيف سلطته ضعيفة، ممكن لبعض الناس أن يشعروا أنهم أقوى من القانون فيتجاوزوه، أو أنه لا يوجد رقابة كافية فيتجاوز القانون، عندهم القانون يُطَبَّق على الجميع ويشعرون برفابة كافية للالتزام به، هذا أصل الفكرة، لكن الاستثناءات شيء آخر، فالإنسان ينضبط عندما يشعر بالرقابة (وَأَنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَامًا كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (12)

(سورة الطلاق)

يعلم ويفقد أن حاسبك فتنضبط.

المؤمن سيجد من النعيم يوم القيامة ما يُنسيه كل آلام الدنيا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (12) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13)

(سورة الانقطار)

النتيجة، النهاية (إِنَّ الْأَبْرَارَ) والأبرار جمع برّ، وهو من تعلّق بأعمال الخير والبرّ، لأنّ البرّ اسم جامع لكل خير، فالبرّ هو من تعلّق بالبرّ، فأفعاله برّ في علاقته برّبه وعلاقته بالناس، يعني خير.

(إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ) أي يوم القيامة، والبعض قال: في الدنيا وفي الآخرة، في الدنيا في نعيم القُرب، وفي الآخرة في نعيم الجَنَّة، طبعاً الدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم:

{ الدُّنْيَا سَجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ }

(أخرجه مسلم)

يعني الدنيا ليست مقياساً لكن فيها نعيم القرب، تقول لي: والله مؤمن لا أستطيع أن أحضر حفلات مختلطة، مؤمن لا أستطيع أن أنظر إلى الحرام، مؤمن لا أستطيع أن آخذ مالا من حرام مهما كثر **(الدُّنْيَا سَجْنُ الْمُؤْمِنِ)** هناك قيود تمنعه من ارتكاب كل ما فيها، مسموح له مساحة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيضٍ (86)

(سورة هود)

ومحجوب عنه مساحة كبيرة، يوجد زاوية مسموحة باللحوم والمشروبات وكذا، وهذه الزاوية أحياناً تكون كبيرة جداً، بل على العكس المَحْجُوبَات هي الزاوية، والمسموحات هي الأكثر، بالنساء وفي كل شيء يكون عنده شيء مسموح وشيء ممنوع **(الدُّنْيَا سَجْنُ الْمُؤْمِنِ)** أمّا الكافر فيفعل ما يشاء، لكن: **(إِنَّ الْأَبْتَرَّ لَفِي نَعِيمٍ)** ممكن أن يكون نعيم القرب من الله في الدنيا، لكن المقصود بالنعيم هو نعيم القيامة، يعني عندما يصل المؤمن إلى الله ينسى كل آلامه، مهما عانى في الدنيا.

{ يُوْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِنَعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنَ الْكَفَّارِ، فَيُقَالُ: اغْمِسُوهُ فِي النَّارِ غَمْسَةً، فَيُغْمَسُ فِيهَا، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: أَي فُلَانُ هَلْ أَصَابَكَ نَعِيمٌ قَطُّ ؟ فيقول: لا، ما أَصَابَنِي نَعِيمٌ قَطُّ، وَيُوْتَى بِأَشَدِّ الْمُؤْمِنِينَ ضَرًّا، وَبَلَاءً، فَيُقَالُ: اغْمِسُوهُ غَمْسَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُغْمَسُ فِيهَا غَمْسَةً، فَيُقَالُ لَهُ: أَي فُلَانُ هَلْ أَصَابَكَ ضَرْ قَطُّ، أَوْ بَلَاءٌ، فيقول: ما أَصَابَنِي قَطُّ ضَرْ، وَلَا بَلَاءٌ {
(صحيح ابن ماجه)

أسر، وسجن، وقصف، وتنكيل، واحتلال بيوت، وهدم منازل فوق ساكنيها، وعندما يدخل إلى الجنة يرى هذا النعيم يقول: **(لِمَ أُزْشِرْتُ قَطًّا)**.

الكافر سيجد نار الجحيم يوم القيامة ولا خروج منها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الْأَبْتَرَّ لَفِي نَعِيمٍ (13) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (14)

(سورة الانقطار)

الْفُجَّارُ جمع فاجر.

{ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُيْبَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَاطَمَهَا بِأَبَائِهَا فَالْنَّاسُ رِجَالٌ: بَرٌّ نَفِيُّ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيْنٌ عَلَى اللَّهِ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَخَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنَ التُّرَابِ، قَالَ اللَّهُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ {

نوعين لا يوجد غيرهما، لا يوجد عرق آري وآسيوي وعربي، هناك (بُرْ تَقِيَّ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ، وفاجِرٌ شَقِيٌّ هَيْنَ عَلَى اللَّهِ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ
لِلْعُسْرَى (10)

(سورة الليل)

نوعان لا ثالث لهما.

فقال: (وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ) متى؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (15)

(سورة الانقطار)

يعني يصلون حرَّها، ويدخلون في هذه النار يوم الدين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (16)

(سورة الانقطار)

يعني لا يوجد إجازات ولا يوجد خروج (وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ) حضور مئةً بالمئة.

يوم القيامة لا يملك إنسان لآخر شيئاً مهما صغُر:
قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (17) ثُمَّ مَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (18)

(سورة الانقطار)

هذا للتوهيل، عندما تُكرر السؤال، رُشاً في القرآن يقول: وَمَا أَذْرَاكَ ثُمَّ يُحَدِّثُكَ، ويقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا (63)

(سورة الأحزاب)

بالفعل المضارع، هذه لا تعلم عنها شيئاً، أمّا وما أدراك، لكن الله يدريك (وما أدراك ما يوم الدين) (17) ثُمَّ مَا أدراك ما يوم الدين (18)) سأقول لك ما هو، لخصه الله تعالى قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ۖ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (19)

(سورة الانقطار)

لا يوجد شفاعة، لا يستطيع إنسان أن يملك لآخر شيئاً، وقد ورد في تفسير القرطبي أنّ الفصيل بن عياض قال: <>.

(وما أدراك ما يوم الدين) (17) ثُمَّ مَا أدراك ما يوم الدين (18) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا) الإنسان في الدنيا يعتمد على أنه هناك أحد يملك لأحد شيئاً، يقول لك: توكل على الله أعرّف فلاناً، ويقول: الله يعين من ليس له أحد، ويقول لك: كل الناس عندها واسطات وفي النهاية سيحزّكوا واسطاتهم لا تخاف، يدبروا أمورهم، الناس يعتمدوا على بعضهم في الدنيا (يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا)، (شيئاً) تنكير، يعني ولا أدنى شيء مهما صغر، ولا شيء.

يوم القيامة الأمر كله لله وحده:

(والأمر يومئذ لله) الأمر في الدنيا لمن؟ أيضاً لله لكن الناس غافلون عن ذلك، الناس في الدنيا اليوم تقول له: الأمر بيد من؟ يقول لك: بيد أمريكا، ممكن أحدهم أن يكون فاهم القصة هكذا، الأمر دائماً لله، لكن (والأمر يومئذ لله) يتضح للجميع أنه لا يُشاركه فيه أحد، أمّا في الدنيا ربنا جعل أسباب، أنت تظنّ أنّ الأمر بيد فلان، أمّا هو بيده وحده، المؤمن يعلم أنّ الأمر كله لله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ ۙ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ۚ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ۚ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانِ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا ۚ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ۚ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (154)

(سورة آل عمران)

في الدنيا وفي الآخرة، لكن يوم القيامة الموضوع واضح، أنّ الأمر بيد الله وحده لا يُشاركه أحد فيه، ولا يملك أحد لأحد شيئاً.

هذا والله تعالى أعلم، والحمد لله ربّ العالمين.

اللهم انصر إخواننا في غزّة على عدوّك وعدوّهم يا ربّ العالمين، اللهم يا أكرم الأكرمين، يا أجود الأجودين، يا مجري السحاب، يا منزل الكتاب، يا هازم الأحزاب، وبا سريع الحساب، اهزم الصهاينة المعتدين ومَن والاهم، ومن أبدهم، ومن وقف معهم في سرّ أو علن.

اللهم عليك بهم فإنهم لا يُعجزونك، اللهم قد أربنا مكرهم بنا فأرنا مكرك بهم، فأنت خير الماكرين، اللهم اجعل الدائرة تدور عليهم، واجعل بأسهم بينهم، وشئت شملهم، ومزّق جمعهم، يا أكرم الأكرمين.

اللهم أطعم جوعى المسلمين، واكسّ عريانهم، وارحم مصابهم، وآو غريبهم، واجعل لنا في كل ذلك سهماً مُتَقَبَّلاً وعملاً صالحاً، واجعل هذا الجمع جمعاً مباركاً مرحوماً، والتفرّق من بعده معصوماً، وبارك الديار وأهلها يا أرحم الراحمين، واجعلها دياراً عامرة بالذكر والخير والإيمان، والحمد لله ربّ العالمين.